

## الرأسمالية والرأسماليون

جون غولديبيرغ

مركز اميريكان انتربرايز

23 أبريل 2010

## Capitalism vs. Capitalists

By Jonah Goldberg

American Enterprise Institute (AEI)

ترجمة: علي الحارس

- باحث في مركز اميريكان انتربرايز (AEI).
- من الأقلام والوجوه الإعلامية المعروفة في الإعلام الأمريكي.
- من كتاب (الأعمدة) في صحيفة (لوس انجلس تايمز).

جون غولديبيرغ

في مثل هذا الأسبوع قبل خمسة أعوام، استهل رب عملي السابق ويليام باكلي<sup>1</sup> عموده الصحافي كما يلي:

كل عشرة أعوام أقتبس القول المأثور نفسه للمحلل النمساوي الراحل ويليام شلام<sup>2</sup> أملاً بأن أحدا ما سيتذكر بعد عشرة أعوام أن يقولها في تأبيني. وهذا القول هو: مشكلة الاشتراكية تكمن في الاشتراكية نفسها. ومشكلة الرأسمالية تكمن في الرأسماليين.

حسنًا، لقد رحل باكلي، ولكن ذكره لا تزال حية، وأنا على ثقة من أنه سيفغر لي تلبية طلبه قبل خمسة أعوام من مواعده.

(1) ويليام باكلي (William F. Buckley): كاتب وإعلامي أمريكي (1925-2008). يعد من أهم الأصوات المعبرة عن الاتجاه المحافظ. أسس مجلة (ناشيونال ريفيو) ورأس تحريرها. كان عموده الصحافي (على اليمين) يظهر في مجموعة من الصحف والمجلات في أن واحد. (المترجم)

(2) ويليام شلام (William Schlam): مفكر وصحافي ألماني (1904-1978). بدأ نشاطه السياسي عضواً في الحزب الشيوعي. لكنه اختلف معه في ما بعد وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك انضم إلى الاتجاه المحافظ وساهم في مواجهة أفكار الشيوعية واليسار الليبرالي. وشجع ويليام باكلي على إصدار مجلة (ناشيونال ريفيو). (المترجم)

## الرأسمالية والرأسماليون

لا يزال رأي شلام يثبت نفسه. حتى وإن كانت الاشتراكية التي نواجهها أقل تطرفا. ولكنه لا يعطي الصورة الكاملة. إذ ليس من الصعب القول بأن مشكلة الاشتراكية تكمن في الرأسماليين أيضا.

إذا كنت تعني بكلمة «رأسمالي» من يلقي بالا لثروته أكثر من ثروتك. أو من يهتم بتأمين احتياجات عائلته أكثر من عائلتك. أو من يثق بأنه أكثر قدرة على القيام بشؤون مصالحه ورغباته الخاصة من موظف حكومي غريب لم يقابله من قبل: فنحن جميعا رأسماليون. وذلك لأن الرأسمالية. بحسب هذه الاعتبارات. ليست نظرية قديمة عن توزيع رأس المال. وإنما وصف تفرضه الفطرة السليمة للحوافز التي تحرك الإنسان أينما وجد على هذه البسيطة.

إن هذا هو أحد أسباب فشل الاشتراكية القاسية في الاتحاد السوفيتي. والاعتلال الشديد الذي أصاب الاشتراكية الناعمة في دول أوروبا الشرقية: ففي نهاية الأمر. من الطبيعي تماما لأي إنسان أن يستثمر النظام. أي نظام. لمصلحته الخاصة بغض النظر عن طبيعة النظام الساري. وهذا يفسر لماذا كان اقتصاد السوق السوداء في الاتحاد السوفيتي أكبر في الواقع من الاقتصاد الرسمي الاشتراكي نفسه. وللسبب نفسه أيضا استثمر الاشتراكيون الملتزمون النظام البيروقراطي للحصول على أفضل المنازل. وأفضل المدارس لأبنائهم. وأفضل الغذاء والكساء لعائلاتهم. حالهم في ذلك حال أي شخص في الدول الرأسمالية: ولهذا السبب أيضا طالبت نقابات العمال الأمريكية باستثناءات واستحقاقات في مشروع الرعاية الصحية الذي تقدم به الرئيس اوباما وذلك لمصلحة مشاريع الرعاية الصحية الخاصة بها.

إن مشكلة الاشتراكية تكمن في الاشتراكية نفسها لأنه لا وجود لشيء اسمه «الاشتراكيون»: فالاشتراكية نظام يقوم على افتراض ما حول طبيعة الإنسان. وهذا الافتراض زائف ببساطة: إذ يمكنني أن أصمم مجتمعا (كليبيا) مثاليا لا تقوم فيه الكلاب

## الرأسمالية والرأسماليون

بملاحظة السناجب أو تنظيف مناطقها الحساسة بطريقة غير لائقة، ولكنني حالما أنقل هذه الفكرة من الورق إلى العالم الحقيقي سأكتشف بأنني غير قادر على جعل الكلاب تتصرف بخلاف طبيعتها. وهذا بغض النظر عن استعمال العقاب الشديد في سبيل ذلك. وأصعب جزء في هذه العملية هو جعل جذع الشجرة البشرية الصلب ينثني وفق رؤاك الخاصة. وهذا أيضا هو السبب خلف اعتبار الرأسماليين السبب الرئيسي في مشكلة الرأسمالية: فهناك من يعمل دائما على انتهاك النظام والتمادي بأعماله. سواء أكان ذلك بدافع التعجرف الأكاديمي، أو بدافع الطمع والجشع.

لقد ذكرت ذلك كله لأن هنالك الكثيرين في واشنطن يبدوون على ثقة من أن حل مشكلة الرأسماليين يكمن دائما في التخفيف من الرأسمالية. ولا شك في أن مجتمع السوق الحرة يمكن اعتباره في بعض المقاييس برنامجا من برامج الدولة، فهي التي تقع عليها مسؤولية محاربة الجريمة وفرض تطبيق الاتفاقيات والسهر على تطبيق القانون. ولا يكاد يوجد إلا القليل من مؤيدي مبدأ السوق الحرة ممن يتطرفون في رفض تدخل الدولة إلى حد يدفعهم للمطالبة بتخليها عن دورها كمرجع للجميع. ولكن ينبغي أن يكون هنالك البعض من هؤلاء ممن يرغب بأن يتحمل هذا المرجع مسؤولياته وينخرط في اللعبة الاجتماعية.

إن الحل الذي يمكن أن تقدمه إدارة أوباما لمشكلة بورصة (وول ستريت) يتمثل بحسب رأيها في أن تنخرط الدولة في هذه البورصة عميقا جدا إلى حد يجعل الرأسماليين يدرك مرة أخرى أن الرهان الأكثر أمانا لا يوجد في الطابع المتقلب لبورصة متعثرة. وإنما في التلاعب بالنظام الذي يدار من واشنطن. إن «الإصلاح» الذي تلوح بوادره يجعل الموظفين مسؤولين عن المستثمرين، ولكن إذا كان الموظفون أفضل من المستثمرين، فلن يكونوا حينها موظفين في الأصل. إن الدولة ستقرر حينها من هي الشركة التي تستحق لقب «الأهمية بحسب النظام». وهذه الشركة ستستخدم «أهميتها» الرسمية للتلاعب بالنظام. وعضوا عن التخلص من أسلوب (التضخيم إلى حد يستعصي على الانهيار) سنقوم بترسيخه ضمن النظام نفسه.

## الرأسمالية والرأسماليون

إننا مولعون بالقول بأن الرد على مشكلات (حرية التعبير عن الرأي) يكمن في المزيد من (حرية التعبير عن الرأي). ولكن يبدو أننا عاجزون أحياناً، وأحياناً فقط، عن الإدراك بأن حل مشكلات الرأسمالية يكمن في المزيد من الرأسمالية.